بسم الله الرحمن الرحيم

م/ المحاضرة الثالثة

(جذور الفيدرالية – طرق النشأة والانتهاء-ودوافع القيام وعوامل النجاح – مظاهر وخصائص الفيدرالية)

اولاً: جذور الفيدرالية تاريخياً؟

يمكن تقسيم حركة الدول نحو الفيدرالية الى ثلاث مراحل وهي :

**المرحلة الاولى:** شهدت اول أشكال الدولة الفيدرالية عندما تبنت الولايات المتحدة الأمريكية اتحاداً كونفدرالياً أقامته الولايات الحديثة الاستقلال عن التاج البريطاني عام 1781 وكان الاتحاد في بادئ الأمر اتحاداً هشا ومن ثم مالبث ان تحول الى اتحاد فيدرالي عام 1789 ،ثم تلت الولايات المتحدة سويسرا التي شهدت حرباً اهلية تحولت في اعقابها من دولة كونفدرالية الى دولة فيدرالية عام 1848 ، واعقبت التجربة الامريكية والسويسرية تجربة اخرى في كندا عندما تبنت الاخيرة الخيار الفيدرالي عام 1867 ،وتلتهم المانيا عام 1871 ثم استراليا عام 1901 .

**المرحلة الثانية** : هي التي جاءت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وبداية الحرب الباردة .

وفي هذه الحقبة التاريخية كانت الدولة الشيوعية على راس قائمة الدول الفيدرالية كالاتحاد السوفيتي ، وكذلك تشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا الا ان مايميز هذا النوع من الاتحادات هي انها شديدة المركزية وذات حكم ديكتاتوري ، وقد تفككت تلك الدول جميعاً فيما بعد وشهدت هذه المرحلة إقامة العديد من الانظمة الفيدرالية مثل الارجنتين والبرازيل وماليزيا وباكستان والامارات وغيرها .

**المرحلة الثالثة :** هي تلك المرحلة التي تلت نهاية الحرب الباردة وتفكك الاتحاد يالسوفيتي على اثرها وعلى اثر ذلك تكونت العديد من الدول الفيدرالية منذ ذلك الوقت كالدول الشيوعية التي انهارت مثل روسيا التي كانت جزء من الاتحاد السوفيتي، والبوسنة والهرسك اللتان كانت جزءاً من يوغسلافيا ،اضافة الى العالم العربي، كالسودان .

ولعبت عوامل مختلفة دوراً هاماً للغاية في تشكيل التجارب الفيدرالية مثل انشاء وحدات مكونة جديدة ونمو المدن والتحولات الاقتصادية والديمقراطية الكبيرة وظهور التكلنوجيات الجديدة والتطورات السياسية العالمية والمحلية وممارسة الديمقراطية .

**ثانياً طرق نشأة النظام الاتحادي وانتهاءه:-**

ينشأ النظام الاتحادي الفيدرالي اما عن طريق تجمع وانضمام عدة دول او ولايات الى بعضها او عن طريق تفكك الدول البسيطة وهناك طريقة ثالثة تتمثل بالجمع بين الطريقتين الأوليتين وسنوضح ذلك؟

1. **طريقة التجمع والانضمام** : بموجب هذه الطريقة فان النظام الاتحادي ينشأ من خلال تجمع عدة دول او ولايات وانضمامها الى بعضها ومن ثم تكوين اتحاد فيما بينها تتنازل بموجبه هذه الدول عن سيادتها الخارجية وجزء من سلطاتها الداخلية ومن دوافع هذا الانضمام والاتحاد هو تقارب شعوب تلك الدول المنظمة من الناحية التاريخية والحضارية والثقافية وقد يكون الدافع هو من اجل صد العدوان ومن الاتحادات التي نشأة بهذه الطريقة النظام الاتحادي الفيدرالي الأمريكي عام 1789 والاتحاد السويسري عام 1848 وكذلك النظام الاتحادي في دولة الإمارات العربية المتحدة والتي كانت قبل الاتحاد عبارة عن إمارات ومشيخات منفصلة عن بعضها البعض وخاضعة للسيطرة البريطانية ولكن بعد إعلان بريطانيا عن نيتها الانسحاب من الخليج قبل نهاية عام 1971 تسارعت خطى تلك الامارات نحو الاتفاق على قيام الاتحاد فيما بينها ضمن امارات (ابو ضبي ، دبي ، عجمان ، الفجيرة ، الشارقة ، ام القوين ، رأس الخيمة ) وكان ذلك في يوم 18 تموز 1971 ليتم اقرار صيغة الدستور المؤقت من (6) امارات وتتحفظ عليه امارة رأس الخيمة لكنها سرعان ما انظمت اليه في عام 1972 واثر انظام قطر والبحرين لهذا الاتحاد سمي (الاتحاد التساعي ) الا ان عدم الاتفاق على بعض المسائل منها عاصمة الاتحاد اعاق اعلان الاتحاد وقررت كل من قطر والبحرين الانسحاب واعلان استقلالهما .

وفي ظل النظم الاتحادية الناشئة بهذه الطريقة نجد ان حقوق الولايات الأعضاء تكون كبيرة نسبياً لان الدول المستقلة التي تؤسس النظام الاتحادي لاتتنازل لدولة الاتحاد الا بقدر محدود من السلطات وبالحد الضروري لديمومة الاتحاد ، وتحتفظ بالسلطات الأخرى لها ، اي انها تحاول التضييق كثيراً من سلطات الاتحاد.

1. **طريقة التفكك** :- بموجب هذه الطريقة فان النظام الاتحادي ينشأ نتيجة تفكك دولة بسيطة تعاني من مشكلات سياسية واقتصادية واجتماعية كاختلاف اللغة والعادات والتقاليد والثقافات والموارد والثروات والاديان والمذاهب .

ويتحول شكل الدولة من الشكل الموحد او البسيط الى الشكل المركب عن طريق منح اقاليمها قسط كبير من الاختصاصات وتبني النظام الاتحادي ، ومن الدول التي نشأة بهذه الطريقة اسبانيا ، فالنظام الاتحادي فيها نشأ بعد تحولها من النظام المركزي الشمولي الى دول اتحادية لامركزية عام 1978 وكذلك بلجيكا التي تحولت تدريجيا من مملكة دستورية متحدة عام 1830 الى نظام اتحادي فيدرالي عام 1993.

ويمكن القول بان حكومة الاتحاد في النظم الاتحادية المقامة بموجب هذه الطريقة تحتفظ بقر اكبر من السلطات فهي وان قامت بتحويل الاقسام او الوحدات الادارية الى كيانات دستورية الا انها لم تتنازل لها الا بقدر محدود من السلطات .

1. على الرغم من ان اغلب المصادر تؤكد على ان النظام الاتحادي ينشأ بالطريقتين السابقتين الا انه يمكن القول بأن هناك طريقة ثالثة تجمع مابين الانظمام والتفكك وهذا ما وجد بالتجربة الكندية التي كانت عبارة عن مقاطعة واحدة وبعدها تفككت وتم تقسيمها الى مقاطعتين هما (اونتاريو التي تضم اغلبية من المتحدثين بالغة الانكليزية وكيبك التي تضم اغلبية من المتحدثين باللغة الفرنسية) وانضمت اليهما مقاطعتي نوفاسكوشا ونيو برونزويك لتصبح كندا اتحاد فيدرالي يتكون من أربع مقاطعات ثم تطور فيما بعد وأصبح النظام الاتحادي الكندي يتكون من عشر مقاطعات.

وينتهي النظام الاتحادي فضلا عن الأساليب العامة التي تنتهي بها الدول كزوال ركن من اركانها بأحد الاساليب الاتية) انفصال الولايات الى دول مستقلة ) و(تحول الدول الاتحادية الى دول موحدة بسيطة اذ تحول الدول الاعضاء او الولايات من كيانات دستورية الى مجرد اقسام او وحدات ادارية) .

**ثالثاً دوافع قيام النظام الاتحادي الفيدرالي وعوامل نجاحه:-**

يعد النظام الاتحادي الفيدرالي الحل الأمثل لمشكلة التعايش في المجتمعات المكونة من عدة جماعات قومية او دينية او ثقافية او عرفية، كما ان انشغال الجماعات السكانية المتنوعة بإدارة مصالحها في إطار النظام الاتحادي يزيل قدر الامكان من اسباب الصراعات التي يمكن ان تسبب بينها مهددة السلم الاهلي نواة بنية النظام الاتحادي التي تعد مطابقة لبنية المجتمعات المتعددة الطوائف وضامنة لحقوق وحريات المكونات التي تكون النظام الاتحادي وتنجلي رغبة المجتمعات والدولة في اقامة النظام الاتحادي الفيدرالي في مجموعة من العوامل تمثل في :-

1. **الخطر والتهديد الخارجي :-** يعد الخطر والتهديد الخارجي م اهم الاسباب التي ادت الى تكوين النظم الاتحادية اذ ان العدوان المشترك يختلف نوعا من المصير المشترك بين الولايات والاقاليم لانها ترى بأن بقائها وحيدة من الانسب لها ان تتنازل عن جزء من سيادتها على ان تخسر تلك السيادة اذا ما بقيت مستقلة وذلك بأنخراطها في نظام اتحادي فيدرالي .
2. **الرغبة في تحقيثق المنافع الاقتصادية :-** مسألة الرغبة والامل في تحقيق المنافع الاقتصادية لايمكن ان يغيب عن بال الدول والمجتمعات التي تروم اقامة النظام الاتحادي الفيدرالي وغالبا مايترتب على اقامة هذا الاتحاد تحقيق التقدم والازدهار الاقتصادي مما ينعكس ايجاباً على سائر الدول الاعضاء.
3. **المشاركة والرابطة السياسية السابقة** :- ان ارتباط المجتمعات او الدول في مابينها بروابط سياسية سابقة عن النظام الاتحادي الفيدرالي يعد من العوامل التي دعت وتدعو الى اقامة هذا الاتحاد وهذه الرابطة السابقة اما تكون نظام تعاهدي كونفيدرالي كما في الولايات الامريكية الثلاثة عشر عام 1778 والمقاطعات السويسرية 1815 او تكون الرابطة مابين دول كانت تعيش مع بعضها كأجزاء من امبراطورية واحدة كما هو الحال في المستعمرات الكندية والاسترالية فهي كانت مستعمرات دولة موحدة بسيطة .
4. **التشابه في النظم الاجتماعية** :- فالتشابه والتماثل في النظم الاجتماعية مثل القانون المدني وقضايا الاحوال الشخصية وغيرها يساعد على تقارب المجتمعات وزيادة تفاهم بعضها مع البعض الاخر ، الامر الذي يساعد على اقامة النظام الاتحادي .
5. **التشابه في النظم السياسية** :- التشابه في النظم السياسية يعد احد العوامل التي تدعو الى اقامة النظام الاتحادي والاختلاف في النظم يشكل عائقاً في سبيل الاتحاد ويظهر اهمية هذا التشابهة في ان واضعي الدستور يؤكدون عادة على وجوب اتباع كافة الدول الاعضاء الشكل نفسه في الحكم فالعديد من الدساتير الخاصة بالانظمة الاتحادية تؤكد على تبني النظام الجمهوري كشكل للحكم.
6. **تعدد القوميات والاديان والطرائف** :- هناك الكثير من الدول يتكون شعبها من عدة مكونات ( قومية ، دينية، طائفية) ونظراً لعدم امكانية هذه الدول من تذويب تلك المكونات في بوتقة الامة الواحدة وحكمها من خلال المركزية الشديدة فيتم التوجه نحو تبني النظام الاتحادي الفيدرالي اذ يسع بهذه المكونا بأدارة شؤنها وفق اساليبها الخاصة وضمان مصالحها والتعبير عن طموحاتها والمحافظة على خصوصيتها .
7. **القيادة:-** ينطوي عامل القيادة على اهمية لايستهان بها في الحث على اقامة النظام الاتحادي لفيدرالي وهذا ما اضهرته تجارب النظم الاتحادي فمثلاً يرجع الفضل لكل من جورج واشنطن زالكسندر هاملتون وجيمس ماديسون وجون جي وبنجامين فرانكلين وجيمس ولسون في نسأة النظام الاتحادي الامريكي.
8. **المساحة الكبيرة للدولة :-** ادت المساحة الكبيرة لبعض الدول دوراً مهماَ في تبني النظام الاتحادي الفيدرالي وتعد من الاساليب المهمة في تحول نظام دولة ما من الادارة المركزية او اللامركزية الادارية الى اللامركزية السياسية لان كبر واتساع حجم الدولة يجعل من لصعوبة بمكان ادارتها بصورة فعالة من المركز.

لذا التجأ الدولة الى اختيار نمط الاتحادي اللامركزي بغية تأمين ايصال سيطرتها الى المناطق من جهة واشتراك تلك المناطق في ادارة الدولة من جهة اخرى ومن الامثلة الهند وروسيا والبرازيل والارجنتين وهناك عاملان اساسيان يقفان وراء نجاح النظام الاتحادي الفيدرالي وهما :

1. **الموروث الحضاري والثقافي**، فالنظام الاتحادي وما يتضمنه من وجود نوعين من المؤسسات احدهما على مستوى الاتحاد والاخرى على مستوى الوحدات المكونة لهذا الاتحاد ، وتقسيم السلطات بينها واستقلال كل منهما عن الاخرى في المجال المحدد لها في الدستور ومايترتب عليه من ضرورة عدم تجاوز احداهما على نطاق الاخرى تحتاج الى مجتمعات قد وصلت درجة معقولة من الرقي والحضارة من اجل ان تقبل به اي النظام الاتحادي .
2. **النظام الديمقراطي :-** النظام الاتحادي لايمكن ان ينمو ويعمل بصورة جيدة في الانظمة الديكتاتورية لان الديكتاتورية سواء اكانت متجسدة في الحكومة الاتحادية ام في الحكومات المحلية فأنها ستؤدي عاجلاً ام اجلاً الى تحطيم المساواة وتحطيم الاستقلال الذي يجب ان تتمتع به تلك المكونات كل من مجالها ضمن النظام الاتحادي وعليه فأن الديمقراطية تمثل احد اهم عوامل نجاح النظام الاتحادي الفيدرالي .

**رابعاً : مظاهر وخصائص الاتحاد الفيدرالي :-**

تضطلع السلطة المركزية من الناحية الدولية بسائر الشؤون الخارجية لفناء الشخصية الدولية لدويلات الاتحاد فتدخل الدولة الجديدة في علاقات دولية مع غيرها من الدول وتمثل في المنظمات الدولية والاقليمية وابرام المعاهدات وتبادل التمثيل الدبلوماسي وهناك استثناءات فقد اخرج بعض الدساتير الفيدرالية للدويلات حق التمثيل الدبلوماسي المستقل .

وحق ابرام معاهدات الدولية مثل دستور الامبراطورية الالمانية الفيدرالية عام 1871 ودستور الاتحاد السوفيتي السابق لسنة 1944 .

اما من الناحية الداخلية فلا تتنازل الدويلات الا عن بعض اختصاصاتها للاتحاد وتحتفظ بالاختصاصات الاخرى ففي الاتحاد الفيدرالي لاتوجد سوى جنسية واحدة هي جنسية الاتحاد وتحتفظ الدويلات بأقليمها وحدودها الاقليمية ولا تمسي او تعدل الا بموافقتها كما تحتفظ بحق وضع دستور الخاص بها شريطة الايتعارض مع الدستور الموحد للدولة الفيدرالية كما يكون لكل ولاية سلطاتها التشريعية وهناك العديد من الخصائص للانظمة الاتحادية الفيدرالية كما يأتي :

**اولا:-** هناك مستويات من الحكم احدهما للدولة كافة والاخر للوحدات المكونة للاتحاد ويمارس كلاهما سلطاته المحددة دستورياً على مواطنيه وطنياً ومحلياً.

**ثانياً :-** دستور مكتوب يتمتع بالسمو ولايمكن تعديله من طرف الحكومة الفيدرالية بمفردها بل تحتاج الامر الى موافقة عدد كبير من الوحدات المكونة للنظام الفيدرالي .

**ثالثا:** يتضمن الدستور الاتحادي توزيع رسمي للسلطات التشريعية والتنفيذية بين الحكومة المركزية والحكومات المحلية مع تحديد الصلاحيات المشتركة وتخصيص موارد الدخل بين هذين المستويين من الحكم مع ضمان مساحات من الحكم الذاتي الحقيقي لكل منهما .

**رابعاً** :- تدابير احتياطية للممثلين المعتمدين من الاقاليم للتعبيرعن ارائهم ضمن مؤسسات صنع السياسة الفيدرالية وغالبا مايكون ذلك متوافرا من خلال الصيغة الخاصة للمجلس الفيدرالي الثاني.

**خامساً:-** هيئة تحكيمية على شكل محاكمة اوتدابير احتياطية للبت في النزاعات بين الحكومة الوطنية والمحلية كأن تكون محكمة دستورية عليا .

**سادساً :-** وجود اجراءات ومسارات لتسهيل التعاون وتنسيق العلاقات بين الحكومات المركزية والمحلية في المجالات كافة ، حيث تكون المسؤوليات مشتركة او تتداخل فيما بينها حتماً.

**سابعاً** :- مع وجوب تلبية الحكومات المحلية لاحتياجات السكان المحليين فان بعض المسؤوليات يفضل ان تترك للحكومة المركزية ومن الامثلة على ذلك الدفاع ، الامن ، المعاهدات الدولية ، الميزانية الفيدرالية .

**ثامناً** :- تتمتع الحكومة المركزية الفيدرالية عادة بالسلطة للتوسط في النزاعات بين المناطق المختلفة .

**تاسعاً :-** امكانية معالجة التفاوت في الدخل والرعاية الاجتماعية بين المناطق المختلفة من قبل الحكومة المركزية عن طريق سياسات تعيد توزيع الثروات وايرادات الضرائب .

**عاشرا** :- وجود علم واحد : يتميز الدولة الفيدرالية بوجود علم واحد هو علم الاتحاد وان كان لكل ولاية علمها الخاص بها الا ان العلم الفيدرالي يبقى هو الاسمى وهو الذي يرفع فوق البنايات والمؤسسات الرسمية وفي المناسبات الوطنية.